تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

"اليمين المتطرّف" قوة شعبية سياسية صاعدة فرنسا في "عين العاصفة" الأوروبية

شهد الاتحاد الاوروبي الشهر الماضي انتخابات هي الاهم والاشرس في تاريخه. اتحاد يواجه تهديدات من الداخل والخارج، وانتخابات تحدد البوصلة التي ستوجه خطى الاتحاد لسنوات وعقود. اليمين المتطرف كان مفاجأة الانتخابات، وفرنسا كانت مركزها وشهدت ام المعارك الانتخابية، وقد اسفرت عن اهتزاز عميق في الخارطة السياسية وما تبقى من ولاية الرئيس ايمانويل ماكرون

ايمانويل ماكرون.

شهدت الدول الاوروبية اهم معركة سياسية من اجل ديمومة النموذج الحالي للمشروع الاوروبي، الذي يتعرض لتهديدات مصيرية من الداخل والخارج، بسبب من الاهتزازات الجيو - استراتيجية المحيطة به وصعود الاحزاب اليمينية المتطرفة المصممة على اعادة روزنامة الاندماج الاوروبي الى الوراء. ولا شك في ان هذه الانتخابات تستحق توصيفها بانها الاهم طيلة 45 عاما من الانتخابات الاوروبية، اذ تحمل في طياتها مخاطر جنوح الاتحاد نحو المزيد من الانغلاق وبناء الاسوار على حدوده الخارجية، والتخفيف من الجرعات التضامنية بين اعضائه، وتحصين الجبهة الشرقية التي يؤرقها التهديد الروسي. واذا انكسر محرك الاندماج الذي يقوم على الديموقراطيين المسيحيين والاشتراكيين الديموقراطيين، سيتحور المشروع الاوروبي ويتجه نحو التفكك التدريجي الذي تسعى اليه الاحزاب القومية واليمينية المتطرفة التي حققت نتائج ممتازة في عدد من دول الاتحاد الاكبر التي مستها لوثة القوميات المتطرفة والعداء للمهاجرين، من ايطاليا الى فرنسا، ومن النمسا الى بلجيكا، ومن المانيا الى هولندا وغيرهما.

استجمعت احزاب اليمين المتطرف في الفضاء الاوروبي قواها، لتعبئة محازبيها وانصارها، بالتركيز على الملفات الرئيسية التي يشكل العداء للمهاجرين عصبها الايديولوجي المتلازم مع العداء للاسلام، ومن زاوية الدفاع عن الهوية الاوروبية. وبعد الهجرة والاسلام والاندماج، تأتي الحرب الدائرة في اوكرانيا في مقدمة التحديات التي يتعين على الاتحاد التعامل معها، خصوصا وانها تلج مرحلة جديدة مع ازدياد انخراط الدول الاوروبية فيها.

الخطورة الحقيقية في صعود القوى اليمينية المتطرفة، لم تعد كامنة في سعيها السابق الى تفكيك الاتحاد الاوروبي او الخروج من نظام العملة الموحدة. او بمعنى اخر ، لم يعد وجود الاتحاد هو المهدد، بل مضمون مشروعه والوجهة التي سيتخذها في المستقبل. فقد اكتشف اليمين المتطرف منذ فترة، وهذا هو احد اسباب نجاحه وصعوده المطرد، انه ليس في حاجة الى تفكيك المشروع الاوروبي، لانه يصلح لتطبيق السياسات التي كان ينادي سابقا بحصرها ضمن صلاحيات الحكومات الوطنية. وليس اوضح على ذلك من مثال رئيسة الوزراء الايطالية جيورجيا ميلوني التي رغم الجذور الفاشية الواضحة لانتمائها الايديولوجي، نجحت في تطبيع علاقاتها الاوروبية وفي استخدام الوسائل والقنوات المتاحة داخل المشروع الاوروبي لتوجيه البوصلة السياسية نحو اهداف برنامجها. لم يعد خافيا على المراقبين كيف اصبحت الحكومات ومراكز القرار في المؤسسات الاوروبية تستقبل اليمين المتطرف، الذي نجح في ان ينقل الى المستوى الاوروبي شعاراته الاثنية - الثقافية، مثل النقاء او التجانس العرقي، ورفض الهجرة واقفال الحدود. لم يعد خطاب اليمين المتطرف قوميا ومحليا ضد اوروبا، واصبح موجها نحو اوروبا مختلفة تتعرض حضارتها للخطر، بقدر ما تتعرض له حضارات الدول الاعضاء في الاتحاد.

فرنسا كانت مركز الزلزال الاوروبي الذي سمعت ارتداداته واصداؤه في كل الارجاء. هذه الانتخابات اوروبية الطابع ولكنها تحولت في فرنسا الى انتخابات وطنية والى استفتاء شعبي على سياسة الرئيس ماكرون. الاختراق الاهم والابرز حصل في فرنسا، حيث حصل "التجمع الوطني" بزعامة مارين لوبن على ما يزيد على 33 في المئة من الاصوات، في حين حصلت لائحة التحالف السياسي الداعم للرئيس ماكرون على 15 في المئة. وهذا الانتصار التاريخي الذي احرزه "التجمع الوطني"

وجه رسالة قاسية الى ماكرون ووضعه امام ثلاثة خيارات: الاستقالة وهو امر مستبعد حاليا، اقالة الحكومة وهذا امر غير محبذ اذ لم يمضِ الا اشهر معدودة على تشكيل الحكومة، والخيار الثالث هو الدعوة الى انتخابات نيابية مبكرة، وهذا ما قرره ماكرون في خطابه المقتضب الى الفرنسيين معلنا حل البرلمان (الجمعية الوطنية) وداعيا الى اجراء انتخابات على دورتين، الاولى في 30 حزيران

> **فرنسا مركز الزلزال الاوروبي وانتصار اليمين المتطرف فيها جاء مدويا**

الانتخابات الاوروبية

والثانية في 7 تموز. لم يكن امام ماكرون الا هذا الخيار والقرار، ولم يكن في امكانه ان يتجاهل الرسالة المدوية التي وجهها الفرنسيون. وفي حال فوز "التجمع الوطني" بالانتخابات التشريعية، وهذا هو المرجح في ضوء تعاظم شعبيته، يصبح ماكرون امام خيارين:

- اما ان "يتعايش" مع اليمين المتطرف ويكلف لوبن تشكيل الحكومة الجديدة. وفي هذه الحال يرجح ان تعهد لوبن الى رئيس التجمع جوردان باردیلا برئاسة الحكومة الجديدة حتى لا تستنزف وتغامر برصيدها في السنوات الثلاث المتبقية من ولاية ماكرون.

- اما ان يقدم استقالته في حال جاء فوز اليمين المتطرف كاسحا ويدعو الى انتخابات رئاسية مبكرة. في الحالين، ايمانويل ماكرون يكون قد انتهى، اما عمليا او رسميا. الامر الاكيد ان "الماكرونية السياسية" انتهت بعدما ثبت انها لم تكن اكثر من ظاهرة عابرة تسببت في زعزعة الاحزاب الكبرى على ضفتي اليمين (الجمهوريون والديغوليون) واليسار (الاشتراكي)، ولكنها لم تنجح في تثبيت وترسيخ وجودها وفي ان تقدم "البديل المقنع". وجاءت الانتخابات الاوروبية لتكشف الواقع الشعبي السياسي لماكرون وتظهره "الرئيس المأزوم" الذي يدفع ثمن فشله في الداخل والخارج، ثمن اخفاقاته في افريقيا بشكل خاص التي اخلى ساحتها امنيا واقتصاديا لمصلحة روسيا والصين، وثمن خيباته في الشرق الاوسط وفي لبنان بشكل خاص.

واذا كان تصويت الفرنسيين ركز على مواضيع داخلية اقتصادية واجتماعية وامنية (قضايا التضخم والغلاء والهجرة والارهاب)، فان السياسات الخارجية كانت حاضرة ومؤثرة، لا سيما ما يتعلق بالحرب في اوكرانيا. وبينت الاشهر الاخيرة، فيما خص الحرب في اوكرانيا، ان ماكرون شكل "القاطرة" التي دفعت غالبية عواصم الاتحاد الى انتهاج سياسة اكثر تشددا بازاء روسيا، واخذ يطرح نفسه زعيما لاوروبا بعد ان تحول من حمامة الى صقر في تعامله مع الملف الاوكراني. وهذا ما تصدت له لوبن التي تعارض تورطا فرنسيا مباشرا في حرب اوكرانيا، مثلما تعارض سياسة مواجهة مع روسيا يمكن ان توصل الى حرب عالمية جديدة مسرحها اوروبا. وجاءت الاحتفالات في الذكرى الثمانين لانزال النورماندي، حيث استضاف ما لا يقل عن 25 رئيس دولة وحكومة، ثم قمته مع الرئيس الاميركي جو بايدن لتجعله رقما رئيسيا في السياسة الدولية، والمحاور الطبيعي لاميركا اوروبيا.

كل ذلك تبخر مع اعلان نتائج الانتخابات. "التجمع الوطني" فرض نفسه بوصفه اول قوة سياسية في فرنسا، ووجد انه على اعتاب السلطة، بحيث ان "السقف الزجاجي" الذي كان يمنعه من الوصول اليها تهاوى بشكل جدي في اعادة تشكيل المشهد السياسي على الساحة الفرنسية. ولو اضيف اليه ما حصل عليه حزب اريك زيمور الاكثر تطرفا منه، لتبين ان اقصى اليمين الشعبوي والقومي المعادي للمهاجرين، والمندد بفقدان الهوية الاوروبية، وخروج مناطق من فرنسا عن سلطة الدولة وتغلغل الاسلام المتطرف، والساعي لسياسة انطوائية وغير المتحمس للبناء الاوروبي، تحول الى القوة الاكبر، حيث يحصل على نحو 40 في المئة من الدعم الشعبي. والجديد انه يتقدم في كافة المناطق الفرنسية، ولم يعد محصورا بالارياف او في جنوب وشمال البلاد. نجح ماكرون في حشد رؤساء وزعماء الدول في النورماندي، كما نجح في قيادة الموقف الاوروبي ضد روسيا. ولكنه لم ينجح في حفظ موقعه داخل فرنسا، واصيب بانتكاسة موجعة من شأنها ان تنال من دوره القيادي في اوروبا، وان تظهره كرئيس ضعيف فاقد للوهج والتاثير، وغير مهاب الجانب.

التغيير اطل برأسه في اوروبا مع صعود مثير لليمين المتطرف، وبما يعني ان "اوروبا جديدة" قيد الانشاء والتبلور. لكن الزلزال السياسي حدث فقط في فرنسا، نظرا الى خصوصية الوضع السياسي والشعبي فيها، واتخاذ الانتخابات منحى المواجهة المباشرة بين ماكرون ولوبن. وهكذا بدت فرنسا في "عين العاصفة" الاوروبية.